أفعال اللّه تعالى بين الحكمة والغرض
" دراسة تحليلية نقدية "

إعداد

أ.د/ محمد عبد الرحيم البيومي

عميد كلية أصول الدين بالزقازيق- جامعة الأزهر

د. علي طه علي عبد العال

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة

من ١٧ إلى ٧٢

God's actions between wisdom and purpose (Critical Analytical Study)

Preparation
Prof. Dr. Mohamed Abdel Rahim Al-Bayoumi
Dean of the Faculty of Fundamentals of Religion in Zagazig - Al-Azhar University

Dr.. Ali Taha Ali Abdel Aal
Instructor of Creed and Philosophy at the Faculty of Fundamentals of Religion in Cairo- Al-Azhar University

(أفعال الله تعالى بين الحكمة والغرض دراسة تحليلية نقدية)

محمد عبد الرحيم البيومي ،.
قسم العقيدة والفلسفة -كلية أصول الدين بالزقازيق – جامعة الأزهر – مصر.
البريد الإلكتروني: mohamed.abdelrhim@azhar.edu.eg
علي طه علي عبد العال
قسم العقيدة والفلسفة- كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: Alyazhary@gmail.com

الملخص:
يمثل ما يتعلق بطبيعة الفعل الإلهي جدلاً كبيراً بين الفرق الكلامية والثيولوجية، حول تعليل أفعال الله تعالى بالغرض، فبينما ينفي متقدمو الأشاعرة تعليل أفعال الله تعالى بالغرض يثبت المتقدمين تعليل بالفعل الإلهي بالحكمة، والمعتزلة تثبت تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض، أما القديس أوغسطين فإنه وإن كان مؤمناً بحرية الفعل الإلهي، إلا أنه تعالى لا يفعل فعلاً لا حكمة فيه، وتأتي هذه الفكرة عنده لترتبط بفكرة الثيوديثيا (الشر وعلاقته بالفعل الإلهي) الأمر الذي أحدث جدلاً بين الفلاسفة المسيحين واللاهوتيين.
يحاول البحث الوقوف على رأي الفرق الكلامية في مسألة الحكمة والغرض والموازنة بين رأي ومتقدمي الأشاعرة والمتأخرين، فإن نفي تعليل الله أفعال الله تعالى بالأغراض لا ينفي التعليل مطلقاً وإنما ينفي التعليل بالغرض فقط، طبقاً لمفهوم المخالفة، ومنا هنا يحاول البحث إثبات التعليل بالحكمة، تبعاً لرأي متأخري الأشاعرة، ليس تبعاً لرأي المعتزلة، إذ رأي المعتزلة يعريه بعض الصعوبات الفلسفية في إثبات التعليل بالغرض؛ أما التعليل بالحكمة فإنه موافق لصريح المنقول وصحيح المعقول.
وقد اتبعت في البحث المناهج التالية: (الاستقرائي، التحليلي ، النقدي ، المقارن) .
وتوصلت إلى النتائج التالية: تعد طبيعة الفعل الإلهي من القضايا الشائكة التي تمثل عمق الفلسفة الأولى، ومن المهم عدم التعجل في إصدار الحكم خاصة إذا تعلق الأمر بذات الله تعالى وصفاته. إن منع الأشاعرة تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض لا ينفي تعليله بأمر آخر غير الغرض، مثل الحكمة ونظيراتها خاصة إذا كان هناك كثيراً من النصوص الدينية التي تثبتها. يمثل رأي المعتزلة وبعض فلاسفة العصر الحديثة ازدواجية في تنزيه الباري تعالى تنزيهاً عقلياً، ومع قوة وصرامة رأي المعتزلة ومن وافقهم، إلا أن آراءهم ينقصها اليقين المنطقي. حاول متأخرو الأشاعرة شرح آراء متقدمي المذهب بطريقة تتماشي مع نصوص القرآن الكريم، في إثبات الحكمة، وهذا وإن كان يوهم ذلك ظاهرياً تعارضاً في المذهب، إلا أنه يعد توسيعاً لمدارك المذهب ليس تناقضا، على ما صرح به الإمام الغزالي رضي الله عنه.

الكلمات المفتاحية: الفعل الإلهي – الغرض – الحكمة – التعليل — الاشاعرة – المعتزلة – الفلسفة الحديث.

"God's Actions Between Wisdom And Purpose

(Critical Analytical Study) "

Mohammed Abdul Rahim Al-Bayoumi,.
Department of Faith and Philosophy - Faculty of Fundamentals of Religion in Zagazig - Al-Azhar University - Egypt.
Email: mohamed.abdelrhim@azhar.edu.eg
Ali Taha Ali Abdel Aal
Department of Creed and Philosophy - Faculty of Fundamentals of Religion in Cairo, Al-Azhar University, Egypt
Email: Alyazhary@gmail.com

Abstract:
The actions of God Almighty represent a great controversy between theologians (Islam and Christianity) about Explanation of God's actions with purpose, ancient Ash'ari see that God's actions are not justified by purposes, While the modernists of the Ash’aris see that God’s actions are justified by wisdom And the Mu'tazila see the justification of God's actions by purpose, As for Saint Augustine, even though he believed in the freedom of God’s actions, He says that God Almighty has no action without wisdom.

The research attempts to clarify the opinion of Muslim theologians in wisdom and purpose A comparison between the opinion of the ancients and moderns of the Ash'aris , because denial of reasoning by purpose Never deny the explanation just explanation by purpose only, the research attempts to explain the wisdom according to the opinion of the modernists, not according to the opinion of the Mu'tazila, because the Mu'tazila view has some philosophical difficulties in proving the purpose and explanation with wisdom Suitable for the Qur'an and the mind.

Method used in the research: Analysis ,Criticism , Comparative Inductive

Results: God’s actions are a complex issue We shouldn't be too quick to judge.

If the Ash'ari deny the purpose this does not negate the interpretation of wisdom.The opinion of the Mu'tazila and Modern Philosophers represents duality in the reverence of God Almighty .The modernists of the Ash'aris tried to understand this issue through the religious text rationally.There is no contradiction between the ancient Ash'aris and the modernists, but trying to understand the issue.

Keywords: Divine Action - Purpose - Wisdom - Reasoning - Ash'ari - Mu'tazila - Modern Philosophy .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه،

وبعد،

فإن الفلسفة الأولى، المتعلقة بالباري تعالى، ذاتاً، وصفاتاً ، وأفعالاً ، تعد أعلى العلوم النقلية والعقلية شرفاً وأكثرها عمقاً وتعقيداً؛ لتعلقها بالذات الأسمى، والوصف الأعلى، والفعل المحكم، الذي لا يحيط بكنهه سواه – تعالى – فكما تحيرت العقول في كنهه تعالى، تحيرت كذلك في الفعل الإلهي، بالغ الإحكام، والأحكام المتعلقة به.

إن طبيعة الفعل الإلهي تمثل غاية الدقة والإحكام، بما وصف الله تعالى به نفسه، في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [1] ، ﴿ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [2] ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [3] ، وتمثل الإرادة الإلهية أهمية كبيرة في الفعل الإلهي، حيث إن جميع الكائنات، مرجعها ومآلها إليه، من حيث المبدأ والمآل، فالخلق خلقه والعباد عباده، هذا فيما يتعلق بالفعل الإلهي من ناحية (المالكية)، أما من ناحية طبيعة الفعل الإلهي نفسه، فإنه يمثل الدرجة العليا في الحكمة، لاستحالة السفه عليه تعالى، عقلاً ونقلاً عند جمهور المسلمين.

وقد أثارت طبيعة الفعل الإلهي جدلاً كبيراً بين المتكلمين، من حيث تعلقه بغاية أو هدف أو غرض ما، وقد منع أهل السنة (الأشاعرة) تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض، إذ ينطوي على ذلك نقصاً في ذات الباري.

يأتي هذا البحث كمحاولة لفهم موقف الأشاعرة من منع تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض، إذ إن منع تعليله بالغرض لا ينفي تعليله بأمر آخر أكثر تنزيها لذات الباري تعالى من مصطلح الغرض، خاصة إذا وصف الله

---

[1] سورة التحريم، آية: ٢.

[2] سورة، التحريم، آية: ٣.

[3] سورة، آية: ١١.

تعالى به نفسه، وهو الحكمة، من هنا يأتي موضوع هذا البحث :" أفعال الله تعالى بين الحكمة والغرض" دراسة تحليلية نقدية.

ومن ثم نرفع مناط التناقض بين المتقدمين والمتأخرين في المسألة، ليـدور الأمر حول تفسيرات بيانية لمذهب المتقـدمين، افتضـاها واقـع الجـدليات الفكرية التي دارت حول المذهب في عصورهم المتأخرة، وما رؤية الغزالـي حول التماس الحكمة الإلهية من مخلوقات الله في رسائله وقصوره العـوالي منا ببعيد.

إشكاليات البحث:

يحاول البحث حل بعض الإشكالات المتعلقة بالفعل الإلهي، والتي تتمثل فيمـا يلي:

١- إن مقصد السادة الأشاعرة رضوان الله عليهم فـي مـا يتعلـق بفعـل الباري- تعالى – التنزيه الخالص، في محاولة للموازنة بين صحيح المنقول، وصريح المعقول، ومع محاولة السادة الأشاعرة التنزيه الخالص فيما يتعلق بالفعل الإلهي، إلا أن البعض قد فهم موقف الأشاعرة فهماً مغلوطاً محـاولاً إضفاء روح التناقض بين موقف الأشاعرة وبين النصوص الدينية، والبحث يحاول معالجة هذه القضية محاولة عقلية، مع إعلاء وتقـدير النصـوص الدينية.

٢- تحاول بعض الفرق الكلامية الدفاع عن فاعلية العقل وقدرته واستيعابه لدقائق الأمور حتى المجهول منها، ومع هذه المحاولة إلا أنها قـد أفرطـت وبالغت في الثقة بالعقل، فمع فاعلية العقل العالية، يعد عـاجزاً فـي إدراك الأمور المتعلقة بالذات الإلهية.

يرى المعتزلة أن الفعل الإلهي في غاية الإحكام والدقة، وأن الله تعـالى، لا يفعل أمراً لا حكمة فيه؛ لاستحالة السفه عليه تعالى، ومـع هـذه النظـرة العقلانية التنزيهية العميقة، إلا أن المتأمل فيها من ناحية المالكية يجد فيهـا قصوراً مقارنة بالنصوص التي يفهم منها عدم السؤال عن الفعـل الإلهـي،

كقوله تعالى :﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [1] ، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [2]، ويأتي هذا موفقاً بين نظرة المعتزلة العقلانية، وبين موقف الأشاعرة، الناظر إلى هذه المسألة برؤية تجريدية، يعتبرها البعض بعيدة عن روح النص.

٣- تطرح طبيعة الفعل الإلهي إشكالية كبيرة بين الفرق (الكلامية – اللاهوتية)؛ إذ يرى بعض الفرق الكلامية واللاهوتية الحرية المطلقة في الفعل الإلهي، بينما يرى البعض الآخر أن الله يفعل أفعالاً دون الأخرى، والنتيجة التي توصل إليها كل فريق تخالف تماماً ما وصل إليه الآخر، بل ترتب على هذه الأقوال بعض الأفكار تمثل عمقاً في الفكر الفلسفي الوسيط والحديث متمثلاً في فكرة الثيوديثا.

٤- تحدث قضية التعليل انفصالية في المذهب بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، حيث يرى المتقدمين منع تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض، بينما يحاول المتأخرون فهم النصوص بطريقة عقلانية تتماشى مع يقول به المتقدمون، عندما لجؤوا إلى القول بالحكمة، ويحاول البحث التوفيق بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم.

أهمية الدراسة:

١- تمثل هذه الدراسة نقطة التقاء بين العقلانية الحديثة وبين النص الديني الإسلامي في طبيعة الفعل الإلهي.

٢- يعد البحث نقطة جامعة بين مفكري الأشاعرة قديماً وحديثاً عن طريق فكرة تعليل أفعال الله تعالى بالغرض أو غيره.

٣- تعد هذه الدراسة همزة وصل بين الفكر الإسلامي الأصيل المتمثل في تراث السادة الأشاعرة وبين الفلسفة الحديثة المتمثلة في كبار فلاسفة العصر الحديث، مثل ديكارت ، سبينوزا ، ليبنتز، مالبرانش...الخ.

---

[1] سورة، آية: ٢٣.

[2] سورة، الأعراف، آية:٥٤.

٤- إن فكرة البحث تعد رؤية جديدة لفهم المذهب الأشعري مع روح العصر الحديث في ضوء النصوص الدينية الصحيحة.

المنهج العلمي المتبع في البحث:

استخدمت في البحث المناهج التالية:

المنهج التحليلي: عن طريق طرح الفكرة والتعرض لها بالشرح والتحليل الدقيق.

المنهج الاستقرائي: عن طريق تتبع الفكرة محل الدراسة وتطور البحث فيها إلى الوصول بها إلى البلورة النهائية للفكرة محل الدراسة.

المنهج النقدي: حيث قمت بنقد الآراء والمذاهب المختلفة، موضحاً ما انتهيت إليه من خلال الأدلة المختلفة.

المنهج المقارن: عن طريق المقارنة بين الآراء والمذاهب المختلفة، والترجيح بينها بالدليل.

خطة البحث:

اشتمل البحث على، مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة تشتمل على: إشكالية البحث، أهمية الدراسة، المنهج المتبع في البحث، خطة البحث.

المبحث الأول: في التعريف بأهم مصطلحات البحث.

المبحث الثاني: آراء المتكلمين في تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض.

المبحث الثالث: حكمة الفعل الإلهي.

خاتمة: تشتمل على أهم ما توصل إليه البحث وأهم التوصيات.

المبحث الأول: التعريف بأهم مصطلحات البحث

أولاً: مفهوم التعليل:

لغة: من عل يعل، واعتل: أي مرض، فهو: عليل، والعلّة: المرض الشاغل، والجمع: علل، والعلة في اللغة أيضا: السبب. [١]

اصطلاحاً: يطلق على عدة تعريفات:

أولاً: إرادة الْمُتَكَلّم ذِكْر حكم وَاقع أَو متوقع فَيقدم قبل ذكره عِلّة وُقُوعه، لكَون رُتْبَة الْعلَّة مُتَقَدّمَة على الْمَعْلُول كَقَوْله تَعَالَى: {لَوْلَا كتاب من الله سبق لمسكم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَاب عَظِيم} فَسبق الْكتاب من الله عِلّة النجَاة من الْعَذَاب، وَمن أحسن أَمْثِلَة التَّعْلِيل قَوْله:

(سَأَلت الأَرْض لم جعلت مصلى ... وَلم كَانَت لنا طهرا وطيبا)

(فَقَالَت غير ناطقة فَإِنِّي ... حويت لكل إِنْسَان حبيبا) [٢]

وكقوله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ [٣]

فهذا جزاء لشكرهم، أي إن شكرتم ربكم شكركم، وهو عليم بشُكركم لا يخفى عليه من شكره ممَّن كفره). وكقوله تعالى: ﴿ ممَّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا﴾ [٤] ، أي أن كفرهم كان سبباً لإغراقهم.

ثانياً: بَيَان عِلّة الشَّيْء وَتَقْرِير ثُبُوت الْمُؤثر لإِثْبَات الْأَثر، كقول إبليس عليه– لعنة الله – في علة عدم السجود لآدم عليه السلام مُخَالفا أمر الله تعالى: ﴿

---

[١] معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ٤٧٥/١، دار الفضيلة.

[٢] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق، عدنان درويش– محمد المصري، ص٤٩١، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان.

[٣] سورة، النساء، آية: ١٤٧.

[٤] سورة ، نوح ، آية ٢٥.

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [١]، بعد قَوْله تَعَالَى: ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾. [٢]

ثالثاَ: تبيين علية الشَّيْء الَّذِي يطْلب إِثْبَاته أَو نَفْيه؛ لينتقل الذِّهْن من الْعلم بهَا إِلَى الْعلم بالمعلوم[٣]، كانتقال الذهن من الدخان إلى النار، وهو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر[٤]

رابعاً: يطلق على التلازم بحيث كلما وجدت العلة وجد المعلول كقوله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [٥] ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ [٦] ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾."[٧] وكقوله تعالى ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [٨] ونحو: ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [٩] وقوله تعالى: ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ والصلة هنا بين (الله) تعالى والمهديين تتسم بالسمو والإحاطة

---

[١] سورة، الأعراف، آية: ١٢ ، سورة، ص، آية: ٧٦.

[٢] جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، نكري، ترجمة، حسن هاني فحص، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية- لبنان، بيروت.

[٣] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، تحقيق، أ. د محمد إبراهيم عبادة، ٧٨/٤٣٠ ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتبة الآداب - القاهرة ، مصر.

[٤] التعريفات، الجرجاني، ص٦١، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

[٥] سورة : القصص، آية: ١٣.

[٦] سورة: الحشر، آية: ٧.

[٧] سورة :الحديد، آية:٢٣ ، وراجع، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، ٤/ ١٨٥٧، ط١ ، ٢٠١٠م ، مكتبة الآداب – القاهرة.

[٨] سورة : البقرة، آية :١٩٨.

[٩] سورة القصص، آية : ٧٧، وراجع، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة- دراسة - حسن عباس، ص٥٢

ومسافة التعظيم، فكانت (على) للاستعلاء أبلغ في ذلك من (اللام) اللاصـــقة وأوفى للغرض بتقدير: (لهدايته لكم). [١]

خامساً: العلة عند الأصوليين: الوصف الظاهر المنضبط الذي يلزم من ترتيب الحكم عليه مصلحة للمكلف من دفع مفسدة أو جلب منفعة. [٢]

ومما سبق يتبين لنا: أن التعليل يطلق على بيان الحكمة من الشـــيء بـــأن يكون أحدهما علة والآخر معلول.

ثانياً: مفهوم الغرض:

الغرض: بالتحريك من غرض جمع أغراض ويعني: الحاجة والقصد، ومنه الغرض من فعله هذا ... كذا[٣]

الْغَرَض بِفَتْح الْغَيْن وَالرَّاء هُوَ الشَّيْء الَّذِي يرْمى إِلَيْهِ [٤]

أولاً: المقصدُ والغاية. [٥]

ثانياً: الغرض بفتح الغين والراء المهملة: "ما لأجله فعل الفاعل ويسمّى علّة غائية أيضا، أي الغرض هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، فهو المحـــرّك الأول للفاعل وبه يصير الفاعل فاعلا".[٦]

ثالثاً: " قد يطلق الغرض بمعنى الغاية سواء كان باعثا للفاعل على الفعل أو لا " [١]

---

[١] المصدر نفسه، ص٦٣.

[٢] معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ٤٧٥/١.

[٣] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، ص٣٣٠، ط٢، ١٤٠٨ هـــ – ١٩٨٨م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

[٤] مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض اليحصبي السبتي، ١٣٢/٢، المكتبة العتيقة ودار التراث، بتصرف يسير.

[٥] التعريفات الفقهية، البركتـــي، ص١٥٧، ط١، ١٤٢٤ هـــــ – ٢٠٠٣م، دار الكتـــب العلمية .

[٦] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق، د. علي دحـــروج، ٢/ ١٢٤٩، ط١، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.

رابعاً: في اصطلاح الفلاسفة فهو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، او ما لأجله فعل الفاعل، او المحرك الأول الذي يصير به الفاعل فاعلا، ويسمى نية، ومقصودا وغاية. [٢]

ثالثاً: مفهوم الحكمة:

أولاً: لغة تطلق على أمور، منها:

١. " الْمَنْعُ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ، وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السَّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ" [٣]

٢. " أحكمت الشيء فاستحكم أي صار محكماً" [٤]

ثانياً: الحكمة في الاصطلاح:

تطلق الحكمة في الاصطلاح على معان متعددة:

١. ترجع كلها إلى معنىً واحد، وهو وضع الشيء في موضعه.[٥]

٢. الحكمة الإلهية: "علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا بقدرتنا واختيارنا، وقيل: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها ". [٦]

---

[١] المصدر نفسه، ٢/ ١٢٥٠.

[٢] المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، ٢/١٢٦، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، الشركة العالمية للكتاب – بيروت.

[٣] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ٢/٩١، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت.

[٤] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ٥/١٩٠٢، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

[٥]- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق ، د.مازن المبارك ، ص ٧٣.

[٦] التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص١٤٥، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عالم الكتب، بيروت – لبنان.

٣. عرف الإمام النووي الْحِكْمَةَ بأنها: "عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ الْمُتَّصِفِ بِالْأَحْكَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَصْحُوبِ بِنَفَاذِ الْبَصِيرَةِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَحْقِيقِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالصَّدِّ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالْبَاطِلِ وَالْحَكِيمُ مَنْ لَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ كُلُّ كَلِمَةٍ وعظتك وزجرتك أودعتك إِلَى مَكْرُمَةٍ أَوْ نَهَتْكَ عَنْ قَبِيحٍ فَهِيَ حكمة وحكم". [١]

المبحث الثاني:

آراء المتكلمين في تعليل أفعال الله – تعالى- بالأغراض

أولاً: تحرير محل النزاع :

اختلف المتكلمون حول القول بتعليل أفعال الله تعالى بالأغراض، واختلافهم ناشئ عن اختلافهم في مسألة التحسين والتقبيح، حيث ذهب:

أولاً: الأشاعرة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، ولا يُسأل عما يفعل، ووافقهم بعض الحكماء على أن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض، كذلك وافقهم الفقهاء في قولهم، إلا أنهم مالوا إلى أن أفعاله – تعالى- تتبع مصالح العباد عن طريق الفضل والإحسان، أما الغرض فإنهم لا يجيزونه بالنسبة إليه – تعالى- لأنه يشْعر عِنْدهم بنَوْع من النَّقْص فَلَا يطلقونه فَإِن كثيرا من النَّاس إِذا قيل لَهُم فلَان لَهُ غَرَض أَو فعل لغَرَض أَرَادوا أَنه يفعل بهوى أَو مُرَاد مَذْمُوم وَالله منزه عَن ذَلِك. [٢]

ثانياً: ذهبت المعتزلة إلى وجوب تعليل أفعال الله – تعالى- بالأغراض[٣] ، ففعله – تعالى – لا يخلو عن غرض؛ لأنه تعالى يفعل الأصلح لعباده، إلا أنه

---

[١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ٣٣/٢، ط٢، ١٣٩٢ه، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢]راجع، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي، محب الدين الخطيب، ص٤٧.

[٣] راجع، المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق، د. عبد الرحمن عميرة، ٢٩٦/٣، ط١، ١٩٩٧، دار الجيل – بيروت.

تعالى يتقدس عن الغرض والنفع والضرر، وإنما وجوبه في فعله لتنزهـــه – تعالى– عن العبث في فعله. [١]

أولا: رأي أهل السنة (الأشاعرة):

ذهب أهل السنة إلى أنه تعالى لا يفعل لأجل هذا، فهو – تعالى– حـــر فـــي أفعاله [٢] ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [٣] وأن كل ما كان في دائـــرة الإمكان، فمرجعه إلى قدرة الله وإرادته وعلمه، بدون أن يكون هنـــاك علـــة لفعله تعالى، فالله– تعالى لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء.

أدلة أهل السنة على نفي الغرض في فعله تعالى:

استدل أهل السنة على امتناع تعليل أفعالـــه– تعـــالى– بـــالأغراض بالعقـــل والنقل:

أما النقل فبقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [٤]

فهل يعني المستدل بهذه الآية أنه سبحانه لا يسأل، لِم فعلت هذا؟ وبين لنـــا حكمة غرضك من هذا؟

أم أن فعله تعالى متصف بالحكمة كما وصف نفسه تعالى، فيستحيل أن يفعل تعالى فعلاً لا حكمة فيه.

إن هذه الآية الكريمة سيقت في معرض مختلف عن معرض التعليل، ويجـــب في تأويلها في إطار السابق واللاحق، فالآيات السابقة تتحدث عـــن حريـــة الفعل الإلهي في قوله :﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَـــدُنَّا إِنْ كُنَّـــا فَاعِلِينَ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّـــا

---

[١] راجع، أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي تحقيق، أ. د. أحمـــد محمـــد المهـــدي، ١٥١/٢، ط٢ ، ١٤٢٤ هـــ –٢٠٠٤ م، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.

[٢] راجع، معالم أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق، طه عبد الرؤوف ســـعد، ط١، ص١٠٤، دار الكتاب العربي – لبنان.

[٣] سورة، الأنبياء، آية:٢٣.

[٤] سورة، طه، آيه:٢٣.

تَصِفُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١]

ثم جاءت هذه الآية الكريمة مؤكدة على:

أولاً: أنه سبحانه لا شريك له في فعله، فالخلق خلقه والعبيد عبيده من حيث إنه تعالى مالك لعبده وما عمل، أما من حيث الحكمة فتتوجب حرية الإرادة.

ثانياً: إن أفعال الله تعالى لا تخلو عن الحكمة من حيث العمل، إلا أنها منزهة عن الغرض من حيث دلالة الفعل المتعلق بذات الباري تعالى.

الدليل الأول: لو تعلق فعل الله تعالى بالغرض فلا يخلو ذلك الغرض عن: كونه قديماً أو حادثاً.

فإن كان ذلك الغرض قديماً، فلا يخلو أن يكون ذلك الغرض لازماً لفعله – تعالى– أو لا.

فإن كان الغرض لازماً لفعله – تعالى– فهو محال؛ لأنه يلزم منه حدوث أفعاله– تعالى.

وإن لم يكن الغرض قديماً، فالغرض غير حاصل، لحصول الفعل بدون الغرض، ونخلص إلى أنه مالم يكن الغرض حاصلاً في فعله فليس في فعله غرض وهو المطلوب. [٢]

وإن كان الغرض حادثاً، فلا يخلو إما أن يفتقر إلى فاعل، أو لا.

فإن لم يفتقر إلى فاعل فإنه يلزم منه حدوث حادث من غير فاعل، وهو محال؛ لأنه يلزم منه نفي الواجب.

وإما أن يفتقر إلى فاعل، وهذا الفاعل إما أن يكون هو الله تعالى أو غيره، ولا جائز أن يكون فاعلاً غير الله – تعالى– ؛ لأنه لا خالق سواه.

---

[١] سورة ، الأنبياء، آية: ١٧ – ٢٢

[٢] راجع، أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، ١٥٢/٢.

وإن كان الفاعل هو الله – تعالى – فإما أن يكون له في فعله غرض أو لا ، فإن لم يكن في فعله غرض فقد ثبت عدم تعليل فعله تعالى بالغرض، وإن كان في فعله غرض، فنرجع إلى الاستدلال السابق، ويتسلسل الأمر والتسلسل باطل، فثبت خلو فعله تعالى عن الغرض. [١]

الدليل الثاني:

لو كان فعله تعالى معللاً بغرض فإما أن يكون لتحصيل مصلحة أو لدفع مفسدة، وفي هاتين الحالتين يكون الله – تعالى – ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره، وهو تحصيل الغرض، فإن الغرض في ذاته إذا كان فعلاً فإنه يكون أصلح لهذا الفاعل من عدمه، لأنه إن لم أصلح له في فعله فإن نسبته إلى فاعله على السواء، فلا يكون هناك دافع في الإقدام عليه. [٢] ونخلص إلى صياغة الدليل: " إن كل ما يكون غرضاً يكون فعله أليق من عدمه، ويكون مستحقاً للكمال، فيكون فاعله ناقصاً بدون هذا الغرض مستكملاً به. [٣]

الدليل الثالث: إن غرض الفعل من فاعله يعد أمراً خارجاً عن ذاته يحدث تبعاً للفعل، ويكون للفعل مدخل في وجوده، وهذا الأمر لا يتصور في فعله – تعالى– إذ أن الله تعالى فاعل لجميع الأشياء، ابتداءً وانتهاءً. [٤]

الدليل الرابع: لو كان لله – تعالى– غرض في فعل من الأفعال لكان ذلك الفعل واجبا عليه لا يستطيع تركه؛ لأن الغرض هو ما اشتمل على حكمة

---

[١] راجع، المصدر نفسه، ٢/١٥٣.

[٢] راجع، المواقف، عضد الدين الإيجي، ٣/٢٩٦.

[٣] راجع، المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

[٤] راجع، المصدر نفسه، ٣/٢٩٧.

تستلزم عقلاً إيجاده، بحيث لولم يفعله فإنه يستوجب نقصاً في حقه، وهو محال. [١]

الدليل الخامس: إذا علل فعله – تعالى – بالغرض فلابد من الانتهاء إلى ماهية الغرض والمقصود في نفسه، وإلا تسلسلت الأغراض إلى ما لا نهاية، ولا يكون غرضاً ومقصوداً في نفسه لغرض آخر.[٢]

تعقيب

يلاحظ على رأي السادة الأشاعرة ما يلي:

١- إن مقصد الأشاعرة في نفي الغرض هو تنزيه الباري تعالى، إذ إن الغرض نقص لا يليق بالباري تعالى.

٢- إن المتأمل في رأي الأشاعرة يجد فيه براعة في الأسلوب وبعداً في النظر، ولكن هذه الأدلة تقوم في جوهرها على افتراضات جدلية، ليست قائمة بالفعل، ولكنها مجرد افتراضات ليست في حيز الوجود الفعلي، وإنما هي في حيز الإمكان.

٣. إن أدلة الأشاعرة، وإن كانت في صياغتها أدلة عقلانية، إلا أنها تفتقر إلى اليقين، خاصة عند مقارنتها بالنصوص الدينية التي تثبت الحكمة لله[٣]، والمعول عليه في دليل الأشاعرة على نفي الغرض هو الدليل العقلي، ليس الدليل النقلي، والأولى هنا الأخذ بكلا الطرفين، العقلي والنقلي، ليكون من الدليل النقلي دليلاً عقلياً.

---

[١] راجع، حواش على شرح الكبرى للسنوسي، إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي، ص٤٢٤، ط١، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج. مصر. العربية.

[٢] راجع، المواقف، عضد الدين الإيجي، ٢٩٧/٣.

[٣] سوف أتحدث عن الآيات التي تثبت الحكمة لله تعالى، ص....

٤- إن الدليل الرابع للأشاعرة واضح في أنه ينفي الغرض عن أفعال الله- تعالى - ومع كونه ينفي الغرض فإنه لا ينفي الحكمة بل إنه يعتبر دليلاً على أثبات الحكمة لله تعالى بالمخالفة.

ثانياً: رأي المعتزلة:

يرى المعتزلة أنه يجب أن ترجع أفعال الله تعالى إلى سبب وحكمة تستلزم فعله، وقد انقسموا في تقرير ذلك إلى أقسام:

فبعضهم ادعى: ضرورة تقبيح التكليف بما لا يطاق، حتى أنهم ادعوا أن الصبيان والسفهاء، يستقبحون .

والبعض: من أثبته قياساً للغائب على الشاهد؛ فإن الساهين على الأوامر الإلهية، بل والمنكرين للشرايع يستقبحون تكليف مواليهم غير ما يطيقون.[1]

وقد استدل المعتزلة على مدعاهم بأنه لو لم يكن لله - تعالى - غرض في فعله لزم أن يكون فعله وحكمه عبثاً، ولكن الله تعالى حكيم، فيستحيل أن يفعل فعلاً لا مصلحة فيه.

وقد أجاب أهل السنة عن هذا الدليل: بجواب حاصله: ماذا تقصدون بالعبث المستلزم لنفي الغرض في حقه تعالى؟

إن المقصود بالعبث هو المتعارف عليه من معنى السفه، وهنا ليس هناك لزوم بين كونه تعالى فاعلاً بغير غرض وبين كونه تعالى جاهلاً بعواقب الأمور (المستلزم للسفه)، بل إن العلاقة بين نفي الغرض وبين السفه العبث هي التنافي؛ فإن المنزه عن النقائص هو من ثبت له الكمال ومنه استحالة الغرض؛ لأن التلازم بين الفعل وبين الغرض يفضي إلى النقص والكمال، أما

---

[1] راجع، شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، تحقيق ، دار المعارف النعمانية، ٢/ ١٥٤ ، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، دار المعارف النعمانية، باكستان.

أفعال الباري- تعالى- فإنه يستحيل أن يطرأ عليها الكمال بعد النقصان، لأنه واجب الكمال والمنزه عن النقائص. [(١)]

المبحث الثالث: حكمة الفعل الإلهي:

مفهوم الحكمة الإلهية:

" الحكيم العليم ذو الحكمة، وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي" [(٢)]

مسلك القرآن الكريم في إثبات الحكمة الإلهية:

إن المتأمل لآيات الذكر الحكيم التي سيقت في أفعال الله سبحانه وتعالى يجد أن أفعال الله تعالى لا تخلو عن حكمة، وإن كان النفي لازماً للغرض إلا أن الإثبات واجب للحكمة؛ لأنها من صفات الرب تبارك وتعالى، وهذا ما اتفق عليه سادة المذهب، حيث أجمعوا على وجوب اتصافه تعالى بالحكمة:

١- فقد ورد في آي الذكر الحكيم كثير ما يشير إلى إعمال النظر، ما يؤكد عمق العلاقة بين الحكمة الإلهية وبين إعمال النظر، ولقد سلك القرآن الكريم في إثبات الأحكام الشرعية مسلكاً قويماً، يرتكز في إثبات التشريعات، مع بيان العلل والمقاصد من هذه التشريعات[(٣)] حتى وإن خفيت مقاصدها فإنها لا تخلو عن حكمة باطنة، يعلمها الله تعالى، لكن اقتضت حكمته تبارك وتعالى

أ. قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾[(٤)]

---

(١) شرح العقيدة الكبرى، أحمد بن العاقل الديماني، اعتنى به: نزار حمّادي، ص١٧٠ ، بت ، ب/ط.

(٢) المواقف، عضد الدين الإيجي، ٣/٣٢١.

(٣) راجع ، تعليل الأحكام، عرض وتحليل لطريقة التعليل وتطوراتها في عصور الاجتهاد والتقليد، د. محمد مصطفى شلبي، ص١٤، ١٩٤٧ م، مطبعة الأزهر الشريف.

(٤) سورة، طه، آية: ١٢٨ .

في هذه الآية الكريمة يوضح الحق تبارك وتعالى، التوضيح الكافي ببيان الحكم في هلاك الأمم السابقة، حيث قرأ أبو عبد الرحمن السلمي أفلم نهد لهم بالنون، أي نبين لهم، قال الزجاج: " يعني أفلم نبين لهم بيانا يهتدون به لو تدبروا وتفكروا". [١]

ثم بين الحق تبارك وتعالى الحكمة من تأخير عذاب المكذبين بشريعة النبي الأمين، بأن حكمة العليم الخبير اقتضت عدم اللزوم، وهو المفهوم من الكلمة هنا، والآية فيها تقديم وتأخير، والتقدير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، أما أن كلمة الله سبقت فليس هناك إلزام.

ب. قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [٢]

في هذه الآيات الكريمات يبين الرب تبارك وتعالى الحكمة في زواج أم المؤمنين زينب – رضي الله عنها معللاً ذلك بدفع الحرج والضيق عن المؤمنين في إقدامهم على ذلك الفعل.

ج. قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٣]

في هذه الآية الكريمة أوضح الله تعالى العلة من تقسيمات الفيء المذكورة، والعلة في ذلك بألا يكون ذلك خاصاً بالأغنياء دون الفقراء، وقد كان العرب في الجاهلية يجعلون لزعيم القبيلة النفيس من الغنائم، فجاء القرآن الكريم

---

[١] التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ٢٢/ ١١٢ ، ط٣، ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢] سورة ، الأحزاب، آية: ٣٧.

[٣] سورة، الحشر، آية: ٧.

ليحدد مصارف الفيء ذاكراً الحكمة من هذه الأصناف المذكورة، وعللها بقوله تعالى: كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم.

د. قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [١]

في هذه الآية الكريمة ذكر الحق تبارك وتعالى العلة من تحريم بعض الطيبات على الذين هادوا وقد ذكر العل من التحريم، وهو الظلم، وفيه إشارة ربانية عن تجن الظلم فإن مرتعه وخيم.

٢- اتفق الأشاعرة (متقدمون – متأخرون) على تنزيه أفعال الباري عن الغرض، إلا أن محاولة متأخري الأشاعرة جاءت موافقة أكثر تحليلاً لفهم نصوص المتقدمين، وجاءت عبارات متقدمو الأشاعرة عالية الدقة؛ لذلك قالوا إن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض، ولو قصد متقدمو الأشاعرة نفي التعليل مطلقاً لقالوا: إن أفعال الله تعالى لا تعلل، فعبارة الأشاعرة هنا تستلزم نفي جهة محددة، مع إثبات ما عداها من صفات الكمال، إثباتاً مسكوتاً عنه، والمعنى: أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض وتعلل بصفات الكمال كالحكمة، وما يساويها.

٣- إن نفي التعليل بالحكمة مراعاة للقدرة والمالكية فيه إهدار لجانب الحكمة، فمع أن الملك والحكم كله لله تعالى يتصرف فيه كيف يشاء، إلا أن هناك جانباً لا يقل أهمية عن جانب المالكية والقدرة، وهو جانب الحكمة والرحمة والعدل، فالله تعالى منزه عن الظلم والعبث، لما يقتضي الاتصاف بهذه النقص المنزه عنه تعالى.

فإن عدم معرفة المقصود بالحكمة في أمر معين لا يقتضي نفيها، فإن الإنسان لا يدرك نفسه التي بين جنبيه على أن يدرك الحقائق المكنونة في هذا الكون الفسيح، فبعض ما يعتبره الإنسان لا حكمة فيه، قد يكون فيه

---

[١] سورة، النساء، آية: ١٦٠.

الحكمة البالغة، وهذا ما عبر عنه الحق تبارك تعالى بقوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١)

إن الحكمة الظاهرة لدى الإنسان هنا من خلال هذه الآية هي العيش في هناء وكشف الضر، إلا أن كمال الحكمة الإلهية الخفية عن عالم الحس، هـي ما قدره الله تعالى؛ من أن يظل الإنسان على حاله الذي قـدر لـه؛ لأنـه هـو المطابق للحكمة لئلا يطغيه حلم الله وإسبال ستره عليه، فيسير في طغيـان أعمى بعيداً عن مقصود الشرع.

الحكمة الإلهية ومبحث النظر:

إن إثبات الحكمة يتوافق مع ما تقرره آيات الذكر الحكيم في حـين إن نفـي التعليل بالحكمة يخالف آيات القرآن الكريم التي تحث علـى النظـر؛ لإدراك آيات الله الباهرة في الكون، فإذا خلا الفعل عن الحكمة لكان الأمـر بـالنظر عبثاً لا يليق بالحكيم؛ ولأصبح الإنسان غير ملام إذا قصر فـي النظـر مـع القدرة عليه، وقد نقل وجوبه الإمام الآمدي رحمه الله:" النظر فـي معرفـة الله- تعالى- واجب بالاتفاق؛ وبه تحصل المعرفة؛ وهو متقدم عليها؛ فهـو أول واجب على المكلف. (٢)

وحكي الإمام الإيجي رحمه الله إجماع أئمة المذهب على وجوب النظر فـي المعرفة، فقال: النظر في معرفة الله تعالى أي لأجل تحصيلها واجب إجماعـا منا ومن المعتزلة، وأما معرفته تعالى فواجبة إجماعا من الأمة. (٣)

وقد سلك السادة الأشاعرة في إثبات وجوب النظر المؤدي إلى المعرفة مسلك وجوب النظر الموصل المؤدي إلى الحكمة (١)، ومنه قولـه تعـالى: ﴿ قُـلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢)

---

(١) سورة، المؤمنون، آية: ٧٥.

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهـدي، ١/١٧٠ ، ط٢، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م ، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.

(٣) المواقف، الإيجي، ١/١٤٧.

وقوله تعالى: ﴿ فَانْظُرْ إِلى آثار رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾[٣]
وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٤]

ونظير ذلك في القرآن الكريم كثير منه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [٥] وقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [٦] وقوله في الأرض: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [٧]

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا

---

[١] شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري، الشريف الجرجاني، حاشية الفناري، حسن جلبي شاه الفناري، حاشية السِّيَالكُوتي، عبد الحكيم السيالكوتي ، ٢٥١/١ ، ط١ مطبعة السعادة.

[٢] سورة يونس، آية: ١٠١.

[٣] سورة الروم، آية: ٥٠.

[٤] سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

[٥] سورة، ق، آية: ٥-٨.

[٦] سورة، الملك، آية: ٢-٥.

[٧] سورة الملك، آية: ١٥.

تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١]

اعـــــــتراض: فإن قيل أليس هذا القول توسيع لمدارك الاعتزال، قلنا بأننا في الأصل نقول بعدم تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض، والأصل إثبات الحكمة لا إثبات الغرض؛ لأن آيات الحكمة لا يمكن أن يقف الإنسان منهـــا موقـــف الإنكار بحال من الأحوال، ثم لا يتصور بأي حال من الأحوال أن المتقـــدمين من الأشاعرة قد غفلوا عنه.

كما أن وصف الحكيم ثابت لله تعالى، ويبدو أن هذه الدقة الكلامية لـــم تكـــن محل جدل عند المتقدمين، وعند من أتى من المتأخرين، وأثيرت هذه المسألة وحدث اللغط في تصور المذهب في صورته الأولى فأبرزوا قيمة الحكمة، كما هو الحال عند الإمام الغزالي، والسعد والرازي، فكان قولهم بالحكمة بمثابـــة البيان لمذهب المتقدمين، وليس تطوراً ولا تناقضاً في المذهب.

توجيه رأي المتكلمـــين في منع تعليل أفعـــال الله تعالى بالأغراض:

إذا وقفنا على أدلة منع تعليل فعل الله تعالى بالغرض نلحظ فيها أمرين:

الأول: أن هذه الأدلة متعلقة بالتعليل بالغرض، وليس مطلق التعليل، فتعلـــق هذه الأدلة يقيد الفعل، ولا يلزم منه منع الفعل.

الثاني: إن انتفاء هذه المحاذير التي سيقت في صورة شبهات يلزم منه إثبات ما سوى الأغراض من الحكمة والغاية.

الثالث: إن الغرض المنفي عن الفعل الإلهي هـــو الغـــرض المبنـــي علـــى المصلحة، التي تعود إلى الباري من الفعل، أما الحكم والغايـــات المتضـــمنة للفعل الإلهي فهذا أمر أجمع عليه أئمة المذهب، لاستحالة الســـفة علـــى الله تعالى.

---

[١] سورة، القصص، آية: ٧١- ٧٣.

مسلك أهل السنة في إثبات التعليل بالحكمة :

أولا: رأي الإمـــــام الأشـــــعري:

سلك الأشاعرة رضوان الله عليهم مسلك الحكمة في الاستدلال علـــى وجـــود الله، وعلى رأس القائلين بتعليل أفعال الله تعالى بالحكمة شيخ المذهب الإمام الأشعري رضي الله عنه، حيث ربط بين العلم الإلهي وبين الحكمة، فالعالم لا بد وأن يتصف بالحكمة؛ إذ لا تصدر الصناعة المحكمة إلا من عالم خبير.

وبالنظر في:

أولاً: الإنسان والحكمة المودعة فيه ، كالحياة والسمع والبصـــر، واتســـاق الإنسان في تلبية احتياجاته كالطعام والشراب ومحاولته في الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الكمال.

ثانيــــــاً: النظر في الأفلاك من: الشمس والقمر والكواكب، كل يجري فـــي مجراه المخصص له، هذه الدقائق لا تحدث إلا من عالم بكيفيتهـــا ودقـــائق أمورها، هذه الأمور المحكمة، لا تخلو إما أن تصدر من حكـــيم أو لا، فـــإن صدرت عن حكيم فذاك، وإن لم تصدر عن حكيم فقد يكون ما يصدر منها لا على سبيل القصد والحكمة، وهو باطل بالمشاهدة، فدل ذلك على أن الصنع المحكم لا يكون إلا من عالم، وهو بهذا قد صار على النسق القرآني في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [1] فلا يمكن تفسير الحكمة بالعلم، وإلا لزم التكرار، ومن ثم فإن مفهوم اللفظين المتغايرين يقتضي التغاير فـــي المفهوم.

يقول الإمام الأشعري – رضي الله عنه – : فإن قال قائل : " لم قلـــتم أن الله تعالى عالم ؟ قيل له: لأن الأفعال المحكمة لا تتسق في الحكمة إلا من عـــالم وذلك لأنه لا يجوز أن يحوك الديباج النفارير [2] ويصنع دقائق الصناعة من

---

[1] سورة النساء، آية: ١١.

[2] النيفور: " الشديد النفار. النفارير: العصافير "أو هي بالتاء".

لا يحسن ذلك ولا يعلمه، فلما رأينا الإنسان على ما فيه من اتساق الحكمة كالحياة التي ركبها الله فيه والسمع والبصر ومجاري الطعام والشراب وانقسامه فيه وما هو عليه من كماله وتمامه ..." [١]

ثانياً: رأي الإمام أبو منصور الماتريدي:

ربط الإمام أبو منصور الماتريدي [٢] بين معرفة الله، وبين الحكمة، فإن من عرف الله - تعالى- حق معرفته عرف أن فعله تعالى أن لا يخرج عن الحكمة، إذ إن الله تعالى حكيم، وحكمته لذاته لا لغرض خارج عن الذات، وذلك يعني أن الذات واجبة لذاتها، لا تخلو عن الحكمة؛ فالذي يخرج عن الحكمة ويبعث صاحبه عليه إما الجهل أو الحاجة، وهما منفيان عن الله تعالى، فثبت أن فعل الله تعالى لا يخرج عن الحكمة[٣]

حتى وإن عجزت عقول الحكماء عن إداك الحكمة المنوطة بالأشياء؛ لتناهي عقول عقلاء البشر، فمن حيث المالكية فإن كل ذي ملك يصنع يشاء في ملكه، أما من حيث جودة الفعل فإن الله تعالى متصف بالحكمة منزه عن نقائضها، مثل السفه والجور، على أن الشيء قد يكون حكمة في وقت، سفهاً

معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، ٥/٥١٣، دار مكتبة الحياة – بيروت.

[١] اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الإمام أبو الحسن الأشعري، تحقيق، د. حمودة غرابه، ص١٤.

[٢] هو الإمام: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، إمام أهل السنة

من مؤلفاته : "التوحيد" وكتاب "المقالات" وكتاب "رد أوائل الأدلة" للكعبي وكتاب "بيان وهم المعتزلة" وكتاب "تأويلات القرآن"

مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

تاج التراجم، ابن قُطلُوبغا، تحقيق، محمد خير رمضان يوسف، ص٢٥٠ ، ط١ ، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م ، دار القلم – دمشق

[٣] راجع، التوحيد، الإمام أبو منصور الماتريدي، تحقيق، د. فتح الله خليف، ص٢١٦، ط١ ، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية.

في وقت آخر، عدلاً في وقت جوراً في آخر، " وَإِذ ثَبت حسن الْحِكْمَــة فِــي الْجُمْلَة وَالْعدْل وقبح السَّفه والجور وَلزِمَ وصف الله تَعَالَى فِي كل فعل خلقــه فِي أقل مَا يُوصف أَنه حِكْمَة وَعدل أَو فضل وإحسان من حَيْثُ ثَبت أَنه جواد كريم غنى عليم " [1]

ويتضح من نص الإمام الماتريدي السابق أن أفعال الله تعالى لابد وأن تعلــل بالحكمة، حتى وإن كانت الحكمة خفية، متغيرة، فإن مناط الأمر يرجع إلــى الذات المستوجبة للحكمة، لا إلى الذات المستنبطة لهــا؛ لاخــتلاف الزمــان والمكان والعقول.

ثانيـــاً: رأي متـــأخري الأشـــاعرة:

التعليل بالحكمة عند الإمام الآمدي [2]:

يسلك الإمام الآمدي – رحمه الله – مسلك الحكمة في تعليل أفعال الله تعالى، إذ لا ينكر الحكمة في فعله –تعالى– ذلك واضح في صنعه تعــالى الموافــق لعلمه تعالى وإرادته، إنما المنفي عنده تعليل أفعــال الله تعــالى بــالغرض، مستدلاً على ذلك بهبوب الرياح، وخرير المياه وتوهج النـــار؛ إذ لا غــرض لهذه الأشياء تستند إليه، بالإضافة أنها لا توصف بالعبثية [3]

---

[1] المصدر نفسه، ص٢١٧.

[2] هو: عَلِيّ بْن أَبِي عَلِيّ بْن مُحَمَّد بْن سالم التَّغْلِبِيُّ، العلامةُ المتكلمُ سيفُ الدين الآمِديُّ الحَنبليُّ ثمّ الشافعيُّ المتوفى: ٦٣١هـ، وُلِد بعد الخمسين وخمسمائة بيسيرٍ بآمِدَ، وقرأ بها القراءات عَلَى الشَّيْخ محمدٍ الصقّار، وعمارٍ الآمديّ. وحَفِظَ " الهدايةَ " فِــي مــذهب أَحْمَد. وقرأ القراءات أيضًا ببغداد عَلَى ابن عُبَيْدة.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بــن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، بشار عوّاد معروف ،١٤/٥٠.

[3] غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، تحقيق، حسن محمود عبــد اللطيــف، ص٢٣٣، ط١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

إن في خلق المخلوقات وتراكيبها العجيبة، وما فيها مـن أعضـاء ظـاهرة وباطنة، وما في ذلك من حفظ المستمر، المانع من اختلال النظام، دليل على الحكمة والإتقان، في وجه لا يظهر فيه أي قصور، لدليل على صـنع بـديع الإحكام، وما كان صنعه محكم فإنه بالضرورة عالم. [١]

التعليل بالحكمة عند الإمـام الغزالي [٢]:

يوافق رأي متقدمي الأشاعرة رأي المتأخرين في التعليل بالحكمة، ومن أهم متكلمي الأشاعرة القائلين بذلك حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، فـي كتابـه الموسوم بـ " الحكمة في مخلوقات الله "

يبدأ الإمام الغزالي حديثه عن الحكمة بتعريفهـا، وبيـان أن الله تعـالى ذو الحكمة المطلقة، وأنه لا يعرف مقدار حكمته سواه تعالى؛ لأنه تعـالى يعلـم أعظم الأشياء بأعظم علم، وهو العلم القديم، الذي لا يسبقه جهل أو خفـاء، وقد تطلق الحكمة على الإنسان الذي يحكم صناعته، وكمال الحكمة لا يكـون إلا لله تعالى الذي لا يعرف قدر حكمته تعالى سواه، يقول الإمـام الغزالـي:" الْحكمَة عبارَة عَن معرفَة أفضل الْأَشْيَاء بِأَفْضَل الْعُلُوم وَأجل الْأَشْيَاء هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَقد سبق أَنه لَا يعرف كنه مَعْرفَته غَيره فَهُوَ الْحَكِيم الْحق لِأَنَّهُ يعلم أجل الْأَشْيَاء بِأَجل الْعُلُوم إِذْ أجل الْعُلُوم هُوَ الْعلم الأزلي الدَّائم الَّذِي لَا يتَصَوَّر زَوَاله المطابق للمعلوم مُطَابقَة لَا يتَطَرَّق إِلَيْهِ خَفَاء وَلَا شُبْهَة وَلَـا يَتَّصِـف بذلك إِلَّا علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقد يُقَال لمن يحسـن دقـائق الصـناعات

---

[١] راجع، أبكار الأفكار في أصول الدين، الإمام الآمدي، تحقيق، د. أحمد محمد المهدي، ٣٣٠/١، ط٢، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.

[٢] هو: محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسى زين الدين. حجة الإسلام أحد الأئمة، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانـه بطوس. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن، تحقيق، أيمن نصر الأزهري – سيد مهني، ٢٩٨/١١٦ ، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية، بيـروت – لبنان.

ويحكمها ويتقن صنعتها حكِيم وكَمَال ذَلِك أَيْضا لَيْسَ إِلَّا لله تَعَالَى فَهُوَ الْحَكِيم الْحق تَنْبِيه" [١]

وأوضح أن العالم كالبيت الذي أعده صانعه وفقاً لنظام محكم أودع فيه صاحبه كل ما يحتاجه البيت فالسقف يشبه السماء المرفوعة، والأرض في امتدادها كالبساط، والنجوم كالمصابيح....فهذه الصنائع دلائل على فاعليها وصنعه المحكم، الذي لا يكون إلا عن علم وحكمة.[٢]

وعدد الإمام الغزالي الحكمة المودعة في الكائنات التي لولا الحكمة المودعة فيها لما كانت بهذا الشكل دون غيره فخلق الله الشمس وحركها لحكمة، فالشتاء وجوده لحكمه والصيف له حكمته، والكواكب ومدارها بحكمة، والأرض بما فيها من أنهار ومحيطات ومعادن وحيوان وجماد لحكمة....وقد عد الإمام الغزالي ما يقرب من خمس عشرة باباً من أبواب الحكم المودعة في الأشياء.

كذلك ذكر الإمام الغزالي في المقصد الأسنى فناً في الْمَقَاصِد والغايات، ذاكراً أننا لو استقصينا نصف أجزاء العالم؛ لإدراك الحكمة في تركيبه لكثر الكلام حتى يخرج عن عين الاعتبار، ويشير الإمام الغزالي- رحمه الله تعالى- صراحة إلى التعليل بالحكمة في قوله: "وَإِذا كَانَ معنى الْحِكْمَة تَرْتِيب الْأَسْبَاب وتوجيهها إِلَى المسببات كَانَ المتصف بهَا على الْإِطْلَاق حكما مُطلقًا؛ لِأَنَّهُ مسبب كل الْأَسْبَاب جُمْلَتهَا وتفصيلها، وَمن الحكم ينشعب الْقَضَاء وَالْقدر فتدبيره أصل وضع الْأَسْبَاب ليتوجه إِلَى المسببات حكمه ونصبه الْأَسْبَاب الْكُلية الْأَصْلِيَّة الثَّابِتَة المستقرة الَّتِي لَا تَزُول وَلَا تحول كالأرض وَالسَّموَات

---

[١] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق، بسام عبد الوهاب الجابي، ص٩٢، ط١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، دار الجفان والجابي للطباعة - قبرص.

[٢] راجع ، المصدر نفسه، ص١٥ - ١٧.

السَّبع وَالْكَوَاكِب والأفلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة الَّتِي لَا تَتَغَيَّر وَلَا تنعدم إِلَى أَن يبلغ الْكتاب أَجله قَضَاؤُهُ" [١]

يبين الإمام الغزالي – رحمه الله– أن عجز الإنسان عن إدراك الحكمة في بعض الأمور ليس لكونها تخلو عن الحكمة، ولكن لكون الإنسان قليل التفكير في ملكوت السموات والأرض، ولو تأمل الإنسان في ملكوت السموات والأرض لرأى من آيات الله عجباً [٢]

مقارنة بين موقف الإمام الآمدي والإمام الغزالي:

يعد موقف الإمام الغزالي أكثر وضوحاً في إثبات مسألة التعليل بالحكمة من الإمام الآمدي، وهذا يتضح من مؤلفه السابق الذي يؤكد فيه على إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، هذا وإن كان الإمام الآمدي يثبت الحكمة إلا أنه يؤكد على نفي الغرض، على أن ما يعنينا هنا هو إثبات الحكمة، لا إثبات الغرض، فليس مقصد الأشاعرة نفي الحكمة؛ لإثبات القادرية والتعويل على المالكية، على أن المذهب الأشعري أكثر عمقاً من أن يتأول حكمة الفعل الإلهي ليؤكد تمام القادرية، ما هو معلوم لدى عوام المسلمين فضلاً على أن تخفى على كبار المتكلمين، [٣] ولعل دقة التعبير في تصوير المذهب عند أئمته المتقدمين والمتأخرين تعين على ذلك من خلال:

أ. تأكيد المتقدمين والمتأخرين على امتناع تعليل أفعال الله – تعالى بالأغراض؛ إذاً فهم قيدوا جهة المنع في قضية التعليل بالغرض، وعلى هذا فالامتناع هنا ليس امتناع مطلق، وإنما امتناع مقيد بجهة، فلو أنهم راموا منع التعليل مطلقاً لما قيدوه بجهة ولقالوا أفعال الله لا تعلل، بيد أن كتب أئمة المذهب (المتقدمين – المتأخرين) حددت

---

[١] المصدر نفسه، ص٩٢.

[٢] راجع، المصدر نفسه، ص٩٩ .

[٣] راجع، الآمدي وآراؤه الكلامية، د. حسن الشافعي، ص٤٤٣، ط١ ، ١٩٩٨ م – ١٤١٨ هـ ، دار السلام للطباعة والنشر.

التعليل الممنوع بالغرض فدل ذلك على جوزا ما سواه مــن أوجــه التعليل التي تليق بذات الله.

ب. أن مدار إيراد الشبه ودفعها في القضية عند الأشاعرة منصبة علــى الغرض لما يحمله من معانٍ لا تليق بذات الله – تعالى – ولم تنصب الجدليات الكلامية في القضيةً حول مطلق التعليل.

التعليل بالحــكمة عند الأصوليين [(١)]:

يفرق الأصوليون بين العلة المنضبطة[(٢)] وغير المنضبطة، وقد جوز الفقهاء التعليل بالحكمة إذا كانت منضبطة، ويفرق الفقهاء بــين الحكمــة الظــاهرة المنضبطة بنفسها، وبين العلة الخفية المضطربة، فجوز الفقهــاء التعليــل بالعلة المنضبطة، وذكر الإمام الآمدي جواز التعليل باقتران الحكــم بوصــف ظاهر منضبط مشتمل على حكمة غير منضبطة، حتى وإن لم يكن مقصــوداً من الشارع، فإذا كانت الحكمة مساوية للوصف فــي الظهــور والانضــباط فالتعليل بها أولى، واستدل الإمام الآمدي على ذلــك بانعقــاد الإجمــاع " أن

---

(١) اختلف الأصوليون في جواز تعليل الحكم بالحِكْمَة المقصودة من تشريع الحكم، علــى أقوال:

القول الأول: لا يجوز التعليل بالحكمة مطلقاً، سواءٌ كانت منضــبطةً أو غيــر منضــبطة، ظاهرةً أو خفية، وهو قول اكثر الأصوليين. القول الثاني: الجواز مطلقاً ، وهــو اختيــار الرازي والبيضاوي. القول الثالث: التفصيل، فيجوز التعليل بالحكمة الظاهرة المنضــبطة، ولا يجوز التعليل بها إن كانت مضطربةً أو خفية ، وهو اختيار الآمدي، وصــفي الــدين الهندي. ينظر: الإحكام للآمدي (٣/ ٢٥٤ - ٢٥٥) شرح تنقيح الفصول (٣٠٦) ،نهاية الوصول لصفي الدين الهندي (٨/ ٣٤٩٤ - ٣٤٩٥) ،الإبهاج (٣/ ١٤٠) ، نهاية السول (٤/ ٢٦٠ - ٢٦٢).

والاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية، بلقاسم بن ذاكر بــن محمــد الزُّبيدي ، رسالة دكتوراة من قسم أصول الفقه بكلية الشــريعة والدراســات الإســلامية بجامعة أم القرى عام ١٤٣٥ هــ، أ. د. غازي بن مرشد العتيبي، ص٤٥٢، ط١، ١٤٣٥ هــ - ٢٠١٤ م، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

(٢) المراد بالعِلَّة هي: " الوصف الظاهر المنضبط المُعَرِّف للحكم بوضع الشــارع، فمثلًــا: أوجب الشارع قطع يد السارق، وإذا بحثنا عن عِلَّة هذا الحُكْم نجد أنها: السرقة، والسرقة من الأوصاف الظاهرة التي لا تخفى على أحد، كما أنها منضبطةٌ لا تختلف مــن شــخصٍ لآخر أو من مكانٍ لآخر"

المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

الحكم إذا اقترن بوصف ظاهر منضبط مشتمل على حكمة غير منضبطة بنفسها فإنه يصح التعليل به، وإن لم يكن هو المقصود من شرع الحكم، بل ما اشتمل عليه من الحكمة الخفية" [١].

ويمنع الأصوليون التعليل بالحكمة الخفية غير المنضبطة لأسباب منها:

أولاً: لعدم معرفة مناط الحكم فيها؛ لاختلافها باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فلا يمكن الوقوف عليها إلا بعد جهد ومشقة.

الثاني: انعقاد الإجماع على التعليل بالأحكام الظاهرة المنضبطة المحتملة.

الثالث: إن التعليل بالحكمة الخفية يؤدي إلى الضيق والمشقة[٢]، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٣]

إن رأي السادة الأصوليين في التعليل بالحكمة إن كانت العلة منضبطة يوضح أنه لا خلاف عند الأصوليين في اعتبار التعليل بالحكمة المنضبطة، وغير المنضبطة الظاهرة، أما عدم الجواز فإنه يرجع إلى اجتماع الخستين عدم الانضباط وعدم الوضوح، وهذا يؤكد على إطباق الأصوليين والمتكلمين على اعتبار التعليل بالحكمة، على أن المتكلمين منعوا التعليل بالغرض، بينما منع الأصوليون التعليل بالحكمة غير المنضبطة الخفية، فالمنع ينصب على جهة، وهي عدم الظهور وعدم الانضباط عند الأصوليين، وعند المتكلمين ينصب على التعليل بالغرض

---

[١] راجع، الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، تحقيق، عبد الرزاق عفيفي، ٢٠٣/٣ ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

[٢] الوصف المناسب لشرع الحكم، أحمد محمود الشنقيطي، ص٧٨ -٧٩، ط١، ١٤١٥ه، عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.

[٣] سورة الحج آية: ٧٨.

التعـــليل بالحـــــكمة ومبـــحث السببية والعلـــية:

مفهوم السببية:

يعتبر قانون السببية أحد قوانين العقل التي يتفق جميع البشر على التســـليم بها، على اختلاف أجناسهم وألوانهم، ويعني أن :" لكل ظاهرة سبب أو علة، فما من شيء إلا كان لوجوده سبب، أي مبدأ، يفسر وجوده" . [١]

العلاقة بين الحكمة الإلهية وقانون السببية:

تمثل هذه الزاوية نقطة محورية بين المتكلمين والفلسفة المشائية [٢] وبـــين المحاولين لفهم المذهب الأشعري بعيداً عـــن جزئيـــات المـــذهب وحيثياتـــه المختلفة.

---

[١] المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا، ٦٩٤/١، ط١ ، ١٤١٤ هـــ - ١٩٩٤ م ، الشـــركة العالمية للكتاب – بيروت.

[٢] يحاول بعض الباحثين إظهار روح الاختلاف والنزاع بين الفكر الأشـــعري والفلســـفة المشائية دون ملاحظة روح المذهب الأشعري، اعتماداً على الرؤية العامة لما قيـــل عـــن المذهب دون النظر إلى جزئياته، يرى البعض أن الله في الفكر الأشعري يمثل إله القدرة المحضة، إله القهر الذي يتصرف في الكون تبعاً لسلطانه وإرداته، غير أن رأي الأشاعرة في أفعال الله تعالى تمثل نقطة محورية في تاريخ الفكر الفلسفي والكلامي، إذ إن أفعـــال الله عند الأشاعرة تمثل ازدواجية بين القدرة والحكمة، ولذلك يعد تعليل أفعال الله تعـــالى بالحكمة رؤية أشعرية خالصة في الرد على من يشنع على الأشاعرة إنكارهم في الرؤية، وهذا خلط مرجعه إلى عدم التفرقة بين العلة الفاعلية (المادية) والعلة الغائيـــة، فبينمـــا تمثل صفة القدرة العلة الفاعلية، من حيث إنه تعالى :"يخلق ما يشاء ويختـــار" ، تمثـــل صفة الحكمة العلة الغائية،حيث إنه تعالى لا يفعل فعلاً لا حكمة فيه.

إن ما يعبر عنه البعض بأن رأي الأشاعرة في الإله يصف الإله باللامبالاه، فـــي حين أن الحسن والقبح يرجع إلى الإرادة والقدرة الإلهية، فالحسن والقبح يرجعـــان إلـــى الله، لا لكونهما يحتويان على سبب لحسنهما وقبحهما، وهذا أثر على رأي الأشاعرة فـــي مسألة العلية في نفي تعليل أفعال الله تعالى، وهذا غلط مرجعه إلى عدم التفرقة بين العلة الفاعلة، والعلة الغائية، فبينما تسود القادرية العلة الفاعلية، تسود الحكمة العلة الغائية.

لا شك أن الله تعالى خلق الخلق وأودع فيه نظاماً محكماً يرتبط بقاعدة تمثل نسقاً مترابطاً، هذا الترابط يمثل قاعدة من قواعد العقل ويقينياته، فمن المسلم عقلاً أن من رأى بناية عظيمة قطع بأن لها بان، والله سبحانه وتعالى عندما خلق العالم لم يخلقه دون هدف أو غاية أو نظام محكم متصل بخالقه، وإلا انتفت الحكمة من الخلق والإبداع، وهذا الذي عبر عنه الله تعالى بقوله: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [2] ؛ دليلاً على أن الله قدجعل لكل شيء سبباً، ومن الضروري حقاً أن مسبب الأسباب لا يسببها إلا لحكمة، وإلا كان هذا إبطالاً لهذا القانون الإلهي الذي شرعه الله تعالى من قبل.

يتفق الفلاسفة مع المتكلمين أن الفعل الإلهي لا يكن في غير حكمة، وذلك الاتفاق يرجع إلى أن مظاهر الخير والجمال من المستحيل ألا تكون لحكمة، وإلا كان الفعل الإلهي اعتباطاً – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وإذا كان الفعل الإلهي تام الإحكام فإنه كذلك خال عن الغرض - الذي يعني الحاجة والاشتياق إلى الفعل- عند جميع العقلاء، هذا من ناحية الفاعلية (القادرية) صرح بذلك الشيخ الرئيس في التعليقات أن جميع الأشياء مرادة لله- تعالى- إرادة مرجعها إلى الذات لا لغرض أو اشتياق إلى الفعل؛ لأن ذلك يفضي إلى النقص المحال في ذاته، وما هو استكمال في ذات الإنسان كمال في حق الرب تعالى.

يقول ابن سينا: " فإذن الأشياء كلها مرادة لواجب الوجود، وهذا المراد هو الخالي من الغرض في رضاه، فصدور تلك الأشياء أنه مقتضى ذاته المعشوق له، فيكون رضاه بتلك الأشياء لأجل ذاته، وتكون الغاية في فعله

راجع، الله ومسألة الأسباب بين الفكر الإسلامي وفلسفة مالبرانش، د. قاسم الكاكائي، ص٢٤٢، ط١، ١٤٢٦ ﻫ -٢٠٠٦م، دار الهادي للطباعة والنشر- بيروت.

[1] سورة، الكهف، آية:٨٤.

[2] سورة، الكهف، آية: ٨٥.

ذاته، ومثال الإرادة فينا نحن أننا نريد شيئاً فنشتاقه؛ لأنا محتاجون إليه، وواجب الوجود يريده على الوجه الذي ذكرناه، ولكنه لا يشتاق إليه؛ لأنه غني عنه، والغرض لا يكون إلا مع الشوق...فإذا كان واجب الوجود بذاته هو الفاعل، فهو أيضاً الغاية والغرض". [١]

يدرك كذلك فلاسفة العصر الحديث أن أفعال الله – تعالى – تعلل بالحكمة؛ إذ لا ينكر أحداً مظاهر الخير والجمال الموجودة في الكون، الصادرة عن جمال أعلى وهو الله تعالى، يقول ليبنتز: " في الرد على من يقولون : إنه لا خير في أعمال الله ، أو أن قواعد الخير والجمال اعتباطية".[٢]

وأما مالبرانش فإنه يرجع هذه المسألة على نحو ما أكد عليه المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين، إلا أن الحكمة الإلهية عند مالبرانش تكون على نحو رياضي وفيزيائي، على وجه يفصل فيه بين العلتين(الفاعلية – الغائية) تكون فيه العلة الغائية فيه مسيطرة على العلة الفاعلية [٣] ، يتصور مالبرانش الإله بأنه إله ملزم بأن يفعل في أبسط صورة ممكنة، وأكثر طريق متجانس، كأنه يتبع مجموعة من القوانين الفيزيائية أو الرياضية. [٤]

---

[١] التعليقات، الشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق وتقديم ، عبد الرحمن بدوي، ص١٧ – ١٨ ، ط١ ، ١٩٧٢ ، مركز تحقيقات كامبوري، علوم إسلامي.

[٢] راجع ، مقالة في الميتافيزيقا ، الترجمة العربية ، الطاهر بن قيزة : المقالة : II، ط١ ، ٢٠٠٦م، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان.

[٣] راجع ، الله ومسألة الأسباب بين الفكر الإسلامي وفلسفة مالبرانش، د. قاسم الكاكائي، ص٢٤٢.

[٤] راجع، الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ترجمة، فؤاد كامل، ص١٣٣، ط١ ، ١٩٩٨م، دار قباء للطباعة والنشر، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة.

من خلال ما سبق يتبين:

اتفاق المتكلمين والفلاسفة (إسلاميين – غربيين) على تقسيم الفعل الإلهي إلى قسمين:

الأول: يرجع إلى القدرة والإرادة وتتجلى فيه العلة الفاعلية.

الثاني: يرجع إلى الحكمة، وتتجلى فيه العلة الغائية. وكلا الملكتان: الفاعلية، الغائية متمايزتان، يرجعان إلى الفعل الإلهي في حد ذاته، فالمعول عليه الذات، التي تنفرد بالقدرة والحكمة على السواء.

الحكمة الإلهية ومسألة الثيوديسا [١]:

تطرح علاقة أفعال الله تعالى بالشر إشكالية كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي على مر العصور، فمن الفلاسفة من يقول بأن الله تعالى لا يفعل إلا الخير وهو أفلاطون، حيث ذكر على لسان سقراط في محاورة الجمهورية :" وما دام الله خيراً، فهو ليس علة كل ما يحدث للبشر، كما يدعي كثير من الناس، وإنما هو علة أشياء قليلة فحسب، ذلك أن الأشياء الخيرة في حياتنا إنما هي أقل من الأشياء الشريرة، ولما كان الله وحده هو علة وجود الأشياء الخيرة، فخليق بنا أن نبحث للأشياء الشريرة عن علة أخرى غير الله"[٢]

يمثل رأي أفلاطون هنا حلولاً لإشكاليات، وطرح لإشكاليات أخرى أكثر عمقاً، أما الأولى: فهي تنزيه الله سبحانه وتعالى عن فعل الشر، إذ يمثل الشر إشكالية كبيرة في خيرية الفعل الإلهي، وأما الإشكالية التي يطرحها تتمثل في أن بعض ما يحدث في الكون ليس بفعل الله تعالى ولا إرداته، وإنما بإرداة أخرى غلبت على الإرادة الإلهية، ومن ثم تطرح نفس الإشكالية بطريقة

---

[١] ظهر هذا المصطلح في فلسفة الفيلسوف الألماني لينتز في مؤلفه: كتابه " تيوديسيه" أي العدالة الإلهية، وعنوانه الكامل:" بحث في خيرية الله وحرية الإنسان وأصل الشر"

[٢] راجع، أوغسطين، جاريث ب. ماثيو، ترجمة: أيمن فؤاد زهري، ص١٧٢، ط١، ٢٠١٣م ، المركز القومي للترجمة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، وجمهورية أفلاطون، أحمد المنياوي، ص١٧٩، ط١، ٢٠١٠م ، دار الكتاب العربي ، دمشق- سوريا.

أخرى، إذا كان الله تعالى لم يفعل الشر، أفلا يكون تعالى قادراً على إزالتــه ومقاومته، وتأتي المانوية [(١)] لتطرح نفسها على الواقع الفلسفي كإجابة عن الأسئلة التي تطرحها فلسفة أفلاطون الإلهية، ومن ثم فليس إلهاً واحداً وإنما آلهة متعددة – إله مريد للخير وإله مريد للشر– على هذا الفــرض الــذي يقول به أفلاطون ومن تعبه.

وينحو القديس أوغسطين[(٢)] بهذه الإشكالية منحاً آخراً، محاولاً الموازنة بين ما رأي افلاطون في تقسيم أفعال الله وبين وحدة الفعل الإلهي، سائلاً أين هو الشر ومن أين يأتي الشر؟ إذا كان الله – تعالى – خيراً وبالضرورة الخير لا يخلق إلا خير، فما هو أصل الشر؟

يفترض القديس أوغسطين عدة افتراضات: أولها: أن يكون الشر من أصــل المادة التي خلقت منها الأشياء، فقد يكون بعضها خيراً والآخر شراً، وهنــا أيضاً يطرح السؤال نفسه، أليس الله بقادر على أن يجعل أصل المادة خيــراً محضاً؟

---

(١) " مذهب ماني الفارسي، الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، وعمل علــى التوفيــق بين الزرادشتية، وقال بأن العالم مكون من مبدأين : أحدهما: النور، وهو مبــدأ الخيــر ، والآخر : الظلمة ، وهو مبدأ الشر، وكل من هذين المبدأين مستقل عن الآخر"، راجــع ، المعجم الفلسفي، جميل صليبا ، ص٣١٤ ، بتصرف.

(٢) القديس أوغسطين، أشهر آباء الكنيسة ولد سنة٣٥٤، في مودرن ســوق أهــراس، الجزائر، وهي بلدة صغيرة في مقاطعة نوميديا الرومانية. وأكثر مؤلفاته شــهرة هــي: اعترافاته، الذي يحتوي على عناصر من التصوف المســيحي، ومدينــة الله ، والرؤيــة المسيحية للتاريخ . معجم الفلاسفة، جورج طرابيشــي، ص١١٧ ، ط٣، ٢٠٠٦م، دار الطليعة – لبنان.

يحاول القديس أوغسطين الإجابة عن ذلك مستعيراً إجابته من الأفلاطونية المحدثة [١]

يعتمد على أن الشر نقصان وافتقار للخير، [٢] ولكن القديس أوغسطين لايجد ردا كافياً فرجع إلى رأي ارتضاه، وقد يكون حلاً إقناعياً، حيث يرجع الشر الموجود بالعالم إلى حرية اختيار الإنسان، ولكن هل يعد جواب القديس أوغسطين كافياً، إنه كاف لدرء بعض الأجوبة التي قد تنشأ من السؤال بتقسيم أفعال الله تعالى إلى خير وإلى شر، وأن الإنسان يفعل أفعال نفسه بحرية مطلقة وأنه أساس للخير والشر معاً. [٣]

حاول ليبنتز الدفاع عن العدالة الإلهية، وطيبة الفعل الإلهي، من خلال مؤلفه العدالة الإلهية، مقرراً أن الفعل الإلهي فعلاً تاماً، وأن العناية والحكمة الإلهية تشمل الكون بأكمله، مما جعل هذا الكون الذي نعيشه هو أحسن العوالم الممكنة، ويوضح خطأ الفلاسفة الذي يزعمون أن أفعال الله – تعالى – من حيث العلة الفاعلية فقط، لأن الله تعالى قام بها، إن الرأي الذي يقول ذلك يرى أن أعمال الله وقواعد الخير والجمال في العالم ليست إلا اعتباطاً، إن جمال هذه الروائع لا يدركها الإنسان إلا حين يتأملها في ذاتهان وبتأمل جودة الصنع يمكن الكشف عن وجود الصانع، هذه المخلوقات إذا تحوي جمالاً داخلياً في ذاتها. [٤]

---

[١] نسبة إلى الفيلسوف أفلوطين الأسكندراني، ولد سنة ٢٠٣ م وتوفي سنة سنة٢٧٠ ، يمثل عصره الذي عاش فيه عصراً مجدباً من حيث الإنتاج ما أورثه عزلة فلسفية صوفية . المصدر نفسه، ص٧٨.

[٢] راجع، اعترافات القديس أوغسطين، د. زكريا إبراهيم الكتاب السابع، ص٣٧ ، ط١، ١٩٩٤م، مهرجان القراءة الجميع، مكتبة الأسرة.

[٣] راجع، أوغسطين، جاريث ب. ماثيو، ترجمة: أيمن فؤاد زهري، ص١٧٢.

[٤] راجع، مقالة في الميتافيزيقا، ليبنتز ، ترجمة ، الطاهر بن قيزة ، مقالة II في الرد على من يقولون إنه لا خير في أعمال الله أو إن قواعد الخير والجمال اعتباطية.

إن الذين يرون أن أفعال الله يجب أن تؤخذ كما هي لمجرد انتسابها إلـــى الله وإلى الإرادة الإلهيه وحدها، إنما يدمرون مجد الله في تدمير حكمتـــه؛ لأنـــه يمثل قانون الأقوى فما يروق للأقوى ينفذ، وحينئذ تحل الإرادة محل العقـــل، ويمثل ذلك الرأي تناقضاً، فتبعا لذلك الرأي تكـــون قواعـــد الخيـــر والعـــدل والكمال – أيضاً – ليست سوى نتائج لإرادة الله، في حين أن هذه الحقـــائق ليست إلا تابعة لملكة الفهم عنده، وهي ملكة لا تخضع للإرادة، وإنما تخضع للأسباب والغايات. [١]

يفرق ليبنتز إذا بين ملكتين: الأولى: الإرادة (العلل الفاعلة) ، الثانية: ملكة الفهم (العلل والغايات) المتمثلة في الحكمة، فبعض من أفعال الله – تعالى – تتحكم فيها الأولى، والبعض الآخر لابد وأن تحكمه ملكة الحكمـــة، علـــى أن الإرادة لابد وأن تكون مشتملة على حكمة، إذ لا يجوز أن يكون عمل الباري اعتباطاً، وهذا القول باطل بالمشاهدة في جمال الكون الذي نعيشه، الـــذي لا يمكن أن يكون جماله وتنسيقه اعتباطاً وإنما يجب أن يكون لحكمة، تتمثـــل في الأهداف والغايات، ويكاد أن يكـــون رأي ليبنتـــز – نفســـه – هـــو رأي المعتزلة في نفيهم الشر عن أفعال الله – تعالى – وإثبات الخير فقط في الفعل الإلهي، وما يوجه لأفلاطون من اعتراضات يمكـــن أن يوجـــه إلـــى فكـــر المعتزلة، وليبنتز.

يتمثل الرأي الأكثر منهجية في رأي الأشاعرة، حيث أثبتـــوا أن الله تعـــالى فاعل كل شيء (الخير – الشر) ، وأن الإنسان ليس له فـــي أفعالـــه ســـوى الكسب، يأتي رأي الأشاعرة وسط بين طـــرفين، ولكـــن لكـــي يكـــون رأي الأشاعرة أكثر إقناعاً لابد من الرجوع إلى الحكمة الإلهيـــة، للســـؤال عـــن الحكمة من الشر؟ إذ لولا وجود الشر ما عرفنا خيراً أو شراً، علـــى أن مـــا نعتبره خيراً، قد يكون شراً وما نعتبره شراً قد يكون خيراً، فالعبرة ليســـت

---

[١] راجع، المصدر نفسه، المقالة نفسها.

رؤيتنا نحن، لأننا لا نرى ولا ندرك الأمور على حقيقتها، وإنما ندرك صورها المحسوسة، ويبقى أمر السرائر مرجعه إلى العليم الحكيم.

ندرك إذاً أن الخروج من علاقة الشر بأفعاله تعالى أن الخير والشر بيد الله إلا أننا لا ننسب لله تعالى سوى الخير تأدباً مع قدرته على الفعلين، من ناحية الفاعلية (القادرية) أما من ناحية الغاية فإنه يسود الحكمة والتدير، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ [١] ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢]

التعليل بالحكمة والاستدلال على وجود الله:

يستدل المتكلمون والفلاسفة على إثبات الصانع بوجه كونه - تعالى- حكيماً مبدعاً، فعله تعالى الإتقان والإبداع،على وجه غير مسبوق بمثال، وأول من استدل بهذا الوجه من فلاسفة اليونان أفلاطون، حيث يرى أن عنايته تعالى تشمل الجزئيات والكليات، كطبيب يراعي مصلحة مريضه، وكفنان، يدبر أفعاله على مقتضى الغاية. [٣]

تمثل الحكمة إذا عاملاً رئيساً في إثبات وجود الصانع واستمرار صنعه وعنايته، إذ إن الله تعالى لم يخلق خلقه ويتركه يتخبط في عماء لا تسيره حكمه ولا تحكمه قدرة، بل تتعهده رعايته بالحفظ وخلقه المستمر بالإيجاد والصنع، وتعد هذه النظرية (الخلق المستمر) [٤] عند الأشاعرة شاهدة على التعليل بالحكمة؛ إذ لولا تعهد الله الخلق بالعناية بالحفظ، لفسدت الأرض وانتهى الخلق، وهذا ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

---

[١] سورة النور، آية: ١١.

[٢] سورة النساء، آية: ١٩.

[٣] راجع، تاريخ الفلسفة اليونانية، أ. يوسف كرم، ص١٠١، ط١، ١٣٥٥ه -١٩٣٦م ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

[٤] سورة البقرة، آية: ٢٥١.

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [(١)]، فمع وقوع الحفظ تحت صفة القادرية فإن العناية تقع تحت صفة الحكمة فلا حفظ بدون عناية، ولا قدرة على الإيجاد بدون رعاية وهذا كله يرجع إلى صفتي القدرة والحكمة.

يقول الآمدي:" فبقى أن يكون متعلقاً به في حال وجوده، فإنه لو قطع النظر في تلك الحالة عن الموجد لما وجد المعلول، وليس استناد الموجود إلى الموجد من جهة وجوده حتى يطرد ذلك في كل موجود بل الصحيح أن إسناده إليه ليس إلا من جهة إمكانه" [(٢)]

ولا يمكن بأي حال من الأحوال تعلق وجود الموجودات به – تعالى- من حيث الإرادة والقدرة فقط، وإنما بالإضافة إلى الإرادة والقدرة يرجع إلى التدبير، الذي يرجع إلى العناية والحكمة.

ويعتمد المتكلمون في إثبات الصانع على دليل الحدوث، حاصله: العالم حادث، وكل حادث له محدث، وهذه المقدمات بديهية عند الأشاعرة نظرية عند المعتزلة، ما يشير إلى أن الحكمة في الإيجاد بديهية عند علماء الأشاعرة، فإن من رأى بناية عظيمة قطع بأن لها بان، نظرية – تحتاج إلى دليل عند المعتزلة- واستدلوا عليها:" تارة بأن أفعالنا محدثة ومحتاجة إلى

---

(١) نظرية الخلق المستمر تعني: أن المخلوق لا يحتاج إلى خالقه ليخلقه فحسب، بل ليمده – أيضاً – ويحفظ عليه وجوده، إذ أن وجوده في ذاته ممكن فلو فرض عدم خالقه لحظة لباد وهلك، فالله يحفظ على الكائنات استمرار وجودها، بحيث يشملها بالعناية والجود من وقت لآخر فإذا انقطع مدد الله تعالى بالوجود، انتفى وجود الإنسان، وهذا ما عبر عنه الإمام الأشعري رحمه الله .

راجع ، بتصرف كبير، الآمدي وآراؤه الكلامية ، د. حسن الشافعي ، ص٤٠٠،ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر.

(٢) – غاية المرام في علم الكلام ، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف،ص٢٥٧.

الفاعل لحدوثها، فكذا الجواهر المحدثة لأن علة الاحتياج مشتركة وأخـرى بأن الحادث قد اتصف بالوجود بعد العدم فهو قابل لهما فيكون ممكنا، وكل ممكن يحتاج في ترجيح وجوده على عدمه إلى مؤثر" [١]

كذلك استدل المتكلمون على إثبات الصانع بحدوث الأعراض مـن وجهـين يرجعان في الاستدلال بهما على الحكمة:

أولهما: الاستدلال بالأنفس على إثبات الصانع من التغيرات التي تطرأ علـى الإنسان في مراحل تكوينه، من انقلاب النطفـة علقـة، والعلقـة مضـغة، والمضغة عظاماً، ثم يكتسي العظم باللحم، هذه الأمور الطارئة علـى نمـو الإنسان لا بد لها من مؤثر، فحدوثها من غير مؤثر مستحيل، وعن مؤثر لا حكمة فيه أكثر استحالة.

ثانيهما: الاستدلال بالآفاق، من أحوال الأفلاك والعناصر والحيوان والنبات، إذ لا بد لهذه الأحوال من مؤثر حكيم أودع فيها حكمة بالغة عجز العقلاء عـن إدراكها. [٢]

واستدل المتكلمون بإمكان الأعراض، كما استدل بذلك سيدنا موسـى عليـه السلام من قبل في قوله: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [٣] ، أي أعطى لكل شيء شكله الخاص المطابق للحكمة والمنفعة، حيث تتماثـل الأجسام في كونها جواهر، فاختصاصها بشكل محدد، فلا بد لها من مخصص حكيم، صنعه الإيجاد والإبداع.

يدل ذلك على أن المتكلمين يعتمدون في إثبات الصانع على الحكمة، في شقي الدليل: الاستدلال بالحدوث، والإمكان، وهذا إن كان مرجعه إلى القادرية فـي الإيجاد فإن صلب الدليل يقوم كذلك على الحكمة في توجيه الدليل.

---

[١] المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ١٣/٣.

[٢] راجع، المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

[٣] سورة، طه ، آية: ٥٠.

ويعتمد المتكلمون بصورة واضحة في إثبات الصانع على دليل العناية، الذي يرجع في بنائه وصورته إلى الحكمة أكثر منه إلى القادرية، فمع كون العالم مقدوراً عليه في الإيجاد والتأثير، إلا أن الله تعالى أودعه حكمته، وهذا واضح في غير آية في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١]

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾. [٢]

قال الإمام الرازي – رحمه الله – مشيراً إلى الحكمة الإلهية في خلق الإنسان والكون الفسيح: " واعلم أنك إذا تأملت في عجائب أحوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن في خلق الإنسان قضى صريح عقلك بأن أسباب تربية الله كثيرة، ودلائل رحمته لائحة ظاهرة، وعند ذلك يظهر لك قطرة من بحار أسرار قوله الحمد لله رب العالمين" [٣]

---

[١] سورة، الأنبياء: ٣١-٣٣

[٢] سورة، النبأ، آية : ٦ – ١٦.

[٣] التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، ١/ ٢٠٠، ط٣، ١١٤٢٠ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من طبيعة الفعل الإلهي وما يتعلق به من أمور نخلص إلى أهـم النتائج، وأهم التوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١- تعد طبيعة الفعل الإلهي من القضايا الشائكة التي تمثل عمـق الفلسـفة الأولى، ومن المهم عدم التعجل في إصدار الحكم خاصة إذا تعلق الأمر بذات الله تعالى وصفاته.

٢- إن منع الأشاعرة تعليل أفعال الله تعالى بالأغراض لا ينفي تعليله بـأمر آخر غير الغرض، مثل الحكمة ونظيراتها خاصة إذا كان هناك كثيـراً مـن النصوص الدينية التي تثبتها.

٣- يمثل رأي المعتزلة وبعض فلاسفة العصر الحديث ازدواجية في تنزيـه الباري تعالى تنزيهاً عقلياً، ومع قوة وصرامة رأي المعتزلة ومن وافقهم، إلا أن آراءهم ينقصها اليقين المنطقي.

٤- حاول متأخرو الأشاعرة شرح آراء متقدمي المذهب بطريقة تتماشي مع نصوص القرآن الكريم، في إثبات الحكمة، وهذا وإن كان يوهم ذلك ظاهريـاً تعارضاً في المذهب، إلا أنه يعد توسيعاً لمدارك المذهب ليس تناقضا، علـى ما صرح به الإمام الغزالي رضي الله عنه.

٥- جاءت رؤية متأخري الأشاعرة في الحكمة الإلهية موافقـة لنصـوص القرآن الكريم، التي تتحدث عن طبيعة الفعل الإلهي وأن الله تعالى لا يفعـل فعلاً لا حكمة فيه.

بعض التوصيات:

١- محاولة فهم طبيعة الفعل الإلهي محاولـة عقليـة منسـجمة مـع روح نصوص القرآن الكريم، إذ لا توجد ضرورية عقلية تقتضـي تأويـل هـذه النصوص.

٢- يمكن التوفيق بين الفكر الإسلامي والفلسفي الحديث فيما يتعلق بالحكمة الإلهية، إذ أن هناك ازدواجية فكرية بين الفكرين، يمكـــن أن تطـــرح فـــي موضوع :" الحكمة الإلهية بين المعتزلة وفلاسفة العصر الحديث.

٣- يعتبر فلاسفة العصور الوسطى وفلاسفة العصـــر الحـــديث مـــن أهـــم الفلاسفة المدافعين عن طبيعة الفعل الإلهي، الناتج عن الحكمة الإلهية، وتعد هذه الدراسة حقلاً خصباً وخاصة إذا تمت مقارنتها بالفكر الإســـلامي فيمـــا يتعلق بالحكمة الإلهية.

فهرس المراجع مرتبةحسب الحروف الهجائية

- أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، ط٢، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م ، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، تحقيق، عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
- اعترافات القديس أوغسطين، د. زكريا إبراهيم الكتاب السابع، ط١، ١٩٩٤م، مهرجان القراءة الجميع، مكتبة الأسرة.
- الآمدي وآراؤه الكلامية، د. حسن الشافعي، ط١ ، ١٩٩٨ م – ١٤١٨ هـ ، دار السلام للطباعة والنشر.
- أوغسطين، جاريث ب. ماثيو، ترجمة: أيمن فؤاد زهري، ط١، ٢٠١٣م ، المركز القومي للترجمة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة
- تاريخ الفلسفة اليونانية، أ. يوسف كرم ، ط١، ١٣٥٥ه -١٩٣٦م ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- التعريفات، الجرجاني، ص٦١، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- تعليل الأحكام، عرض وتحليل لطريقة التعليل وتطوراتها في عصور الاجتهاد والتقليد، د. محمد مصطفى شلبي ، ١٩٤٧ م، مطبعة الأزهر الشريف.
- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط٣، ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- التوحيد، الإمام أبو منصور الماتريدي، تحقيق، د. فتح الله خليف، ط١ ، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية.
- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عالم الكتب، بيروت – لبنان.

- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، نكري، ترجمة، حسن هاني فحص، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية- لبنان، بيروت.
- جمهورية أفلاطون، أحمد المنياوي، ط١، ٢٠١٠م ، دار الكتاب العربي ، دمشق- سوريا.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق ، د،مازن المبارك.
- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة- دراسة - حسن عباس.
- حواش على شرح الكبرى للسنوسي، إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي، ط١، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج. مصر. العربية.
- شرح العقيدة الكبرى، أحمد بن العاقل الديماني، اعتني به: نزار حمّادي ، ب/ت ، ب/ط.
- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، تحقيق ، دار المعارف النعمانية، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، دار المعارف النعمانية، باكستان.
- شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري، الشريف الجرجاني، حاشية الفناري، حسن جلبي شاه الفناري، حاشية السِّيَالكُوتي، عبد الحكيم السيالكوتي ، ط١ مطبعة السعادة.
- الشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق وتقديم ، عبد الرحمن بدوي، ط١ ، ١٩٧٢ ، مركز تحقيقات كامبوري، علوم إسلامي.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.
- غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف، ط١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفـوي، تحقيـق، عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان.
- الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ترجمة، فؤاد كامـل، ط١ ، ١٩٩٨م، دار قباء للطباعة والنشر، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة.
- الله ومسألة الأسباب بين الفكر الإسلامي وفلسفة مالبرانش، د. قاسم الكاكائي، ط١، ١٤٢٦ ه -٢٠٠٦م، دار الهادي للطباعة والنشـر- بيروت.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- معالم أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق، طه عبـد الـرؤوف سعد، ط١، دار الكتاب العربي - لبنان.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمـد حسـن حسن جبل، ط١ ، ٢٠١٠م ، مكتبة الآداب - القاهرة.
- المعجم الفلسفي، الـدكتور جميـل صـليبا، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، الشركة العالمية للكتاب - بيروت.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الـرحمن عبـد المنعم، دار الفضيلة.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الـدين السـيوطي، تحقيق، أ. د محمد إبراهيم عبـادة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتبة الآداب - القاهرة ، مصر.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت.
- مقالة في الميتافيزيقا ، الترجمة العربية ، الطاهر بـن قيـزة، ط١ ،

٢٠٠٦م، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان.

- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق، بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، دار الجفان والجابي للطباعة – قبرص.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي، محب الدين الخطيب
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ط٢، ١٣٩٢ه، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق، د. عبد الرحمن عميرة، ط١، ١٩٩٧، دار الجيل – بيروت.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق، د. علي دحروج، ط١، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.
- الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية (شرح حدود ابن عرفة للرصاع)، أبو عبد الله الرصاع، ط١، ١٣٥٠ ه، المكتبة العلمية، بيروت.
- الوصف المناسب لشرع الحكم، أحمد محمود الشنقيطي، ط١، ١٤١٥ه، عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.

Faharas Almarajie

• 'abkar al'afkar fi 'usul aldiyn, alamdi, tahqiqu: 'a. du. 'ahmad muhamad almahdi, ta2, 1424 ha -2004 m , dar alkutub walwathayiq alqawmiat - alqahirati.

• al'iihkam fi 'usul al'ahkami, 'abu alhasan alamdi, tahqiqu, eabd alrazaaq eafifi, almaktab al'iislamii, bayrut- dimashqa- lubnan.

• aetirafat alqidiys 'uwghastin, du. zakariaa 'iibrahim alkutaab alsaabieu, ta1, 1994ma, mahrajan alqira'at aljamiei, maktabat al'usrati.

• alamdi warawuh alkalamiatu, du. hasan alshaafieii, ta1 , 1998 m - 1418 ha , dar alsalam liltibaeat walnashri.

• 'uwghistin, jarith bi. mathiu, tarjamatu: 'ayman fuad zahri, ta1, 2013m , almarkaz alqawmiu liltarjamati, afaq lilnashr waltawzie, alqahira

• tarikh alfalsafat alyunaniati, 'a. yusuf karam , ta1, 1355h -1936m , lajnat altaalif waltarjamat walnashri.

• altaerifati, aljirjani, sa61, ta1, 1403h -1983mi, dar alkutub aleilmiati, bayruti-lubnan.

• taelil al'ahkami, eard watahlil litariqat altaelil watatawuratiha fi eusur aliajtihad waltaqlidi, du. muhamad mustafaa shalabi , 1947 ma, matbaeat al'azhar alsharif.

• altafsir alkabira, fakhr aldiyn alraazi, ta3, 1420 ha , dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.

• altawhidi, al'iimam 'abu mansur almatridi, tahqiqu, du. fath allah khalif, ta1 , dar aljamieat almisriat - al'iiskandiriatu.

• altawqif ealaa muhimaat altaearif, almanawi, ta1, 1410hi-1990m, ealam alkutab, bayrut - lubnan.

• jamie aleulum fi aistilaha alfunun, nikri, tarjamatu, hasan hani fahas, ta1, 1421h - 2000m , dar alkutub aleilmiati- lubnan, bayrut.

• jumhuriat 'aflatun, 'ahmad alminyawi, ta1, 2010m , dar alkitab alearabii , dimashqa- surya.
• alhudud al'aniqat waltaerifat aldaqiqat , zakariaa bin muhamad bin zakariaa al'ansari, tahqiq , da,mazin almubaraki.
• huruf almaeani bayn al'asalat walhadathati- dirasat - hasan eabaas.
• hawash ealaa sharh alkubraa lilsanusi, 'iismaeil bin musaa bin euthman alhamidi, ta1, 1354 hi - 1936 mi, matbaeat mustafaa albabi alhalabii wa'awladuhi, ji. masr. alearabiati.
• sharh aleaqidat alkubraa ،'ahmad bin aleaqil aldiymani, aetni bihi: nizar hmmady , bi/t , ba/t.
• sharh almaqasid fi eilm alkalami, saed aldiyn altaftazani, tahqiq , dar almaearif alnuemaniati, ta1, 1401 hi - 1981m , dar almaearif alnuemaniati, bakistan.
• sharah almawaqif liljirjani mae hashiatay alsiyalkuti walfanari, alsharif aljirjani, hashiat alfanari, hasan jalbi shah alfanari, hashit alssiaalkuty, eabd alhakim alsiyalkuti , ta1 matbaeat alsaeadati.
• alshaykh alrayiys aibn sina, tahqiq wataqdim , eabd alrahman badway, ta1 , 1972 , markaz tahqiqat kamburi, eulum 'iislami.
• alsihah taj allughat wasihah alearabiat li'iismaeil bin hamaad aljawhari, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatar, ta2, 1399h-1979ma, dar aleilm lilmalayini, bayrut - lubnan.
• ghayat almaram fi eilm alkalami, alamdi, tahqiqu, hasan mahmud eabd allatifi, ta1, almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat - alqahira.
• alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati, alkufawi, tahqiqu, eadnan darwish-muhamad almasri, muasasat alrisalat - bayrut, lubnan.

• allah fi alfalsafat alhadithati, jims kulinzi, tarjamatu, fuad kamil, ta1 , 1998ma, dar qaba' liltibaeat walnashri, aljameiat almisriat linashr almaerifat walthaqafat alealamiati, alqahirati.
• allah wamas'alat al'asbab bayn alfikr al'iislamii wafalsafat malbransh, du. qasim alkakayiy, ta1, 1426 h - 2006mi, dar alhadi liltibaeat walnushri- bayrut.
• mashariq al'anwar ealaa sihah aluathar, eiad alyahsabi alsabti, almaktabat aleatiqat wadar altarathi.
• maealim 'usul aldiyni, fakhr aldiyn alraazi, tahqiqu, tah eabd alrawuwf saedi, ta1, dar alkitaab alearabii - lubnan.
• almuejam aliashtiqaqii almuasal li'alfaz alquran alkarim, du. muhamad hasan hasan jabala, ta1 , 2010m , maktabat aladab - alqahirati.
• almiejam alfalsafi, alduktur jamil saliba, ta1, 1414 hi - 1994ma, alsharikat alealamiat lilkitab - bayrut.
• muejam almustalahat wal'alfaz alfiqhiati, du. mahmud eabd alrahman eabd almuneim, dar alfadilati.
• muejam lughat alfuqaha'i, muhamad rawaas qaleaji - hamid sadiq qanibi, ta2, 1408 hi - 1988ma, dar alnafayis liltibaeat walnashr waltawziei.
• muejam maqalid aleulum fi alhudud walrusumi, jalal aldiyn alsuyuti, tahqiqu, 'a. d muhamad 'iibrahim eibadatu, ta1, 1424h - 2004ma, maktabat aladab - alqahirat , masr.
• muejam maqayis allughati, abn faris, tahqiqu, eabd alsalam muhamad harun, ta1, 1399h - 1979ma, dar alfikri, bayrut.
• maqalat fi almitafiziqa , altarjamat alearabiat , altaahir bin qayzata, ta1 , 2006ma, markaz dirasat alwahdat alearabiat, almunazamat alearabiat liltarjamati, bayrut - lubnan.
• almaqsid al'asnaa fi sharh maeani 'asma' allah alhusnaa, al'iimam 'abu hamid alghazalii, tahqiqu,

basaam eabd alwahaab aljabi , ta1, 1407 - 1987 , dar aljafan waljabii liltibaeat - qubrusu.

- **almuntaqaa min minhaj alaietidal fi naqd kalam 'ahl alrafd waliaetizali, shams aldiyn aldhahabi, muhibu aldiyn alkhatib**
- **alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaji, alnawawii, ta2, 1392hi, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.**
- **almawaqifi, eadd aldiyn al'iiji, tahqiqu, da. eabd alrahman eumayrata, ta1, 1997, dar aljil - bayrut.**
- **musueat kashaaf aistilahat alfunun waleulumi, altahanwi, tahqiqu, da. eali dahruji, ta1, 1996ma, maktabat lubnan nashirun - bayrut.**
- **alhidayat alkafiat alshaafiat libayan haqayiq al'iimam aibn earafat alwafia (shrah hudud aibn earfat lilrasaei), 'abu eabd allah alrasaei, ta1, 1350 hu, almaktabat aleilmiatu, bayrut.**
- **alwasf almunasib lishare alhikmi, 'ahmad mahmud alshanqiti, ta1, 1415h, eimadat albahth aleilmi, bialjamieat al'iislamiati, bialmadinat almunawarati.**